السَيّد دي بُورسْيَاك

اشخاص المسرحية

السيّد دي بورْسيّاك :

السيّد دي بورْسيّاك :

أُورونْت :

جولي : ابنة أُورونْت

نارين : امرأة مشاغبة

لوليت : مشبوهة من كاسكوني

أَراسْت : عاشق جولي

إِسْبْريكاني : مشاغب من نابولي

طبيب أول

طبيب ثانٍ

صيدلي

فلاّح

فلاّحة

موسيقي أوّل

موسيقي ثانٍ

محامٍ أول

محامٍ ثانٍ

حاجب اول
حاجب ثانٍ
رجل أمن
مسلّحان : عدّة موسيقيّين
عازفون وراقصون

الأحداث تجري في باريس

مقدّمة

يُرفع الستار على حفلة رقص وغناء.
يتشاجر اثناءها أربعة متطفّلين فيما بينهم،
وهم يُشهرون سيوفهم بعد عراك قصير يفرّق بينهم
حاجبان ويسوّيان امرهم. ثم يتابع الجميع رقصهم على ألْحان مرحة.

الفصل الاول

المشهد الأول

جولي، وأراسْت، ونارين.

جولي : يا الهي. كُفَّ عن الدهشة، يا أَراسْت. فأنا أرتجف خوفاً من أن يرانا الناس معاً. فنخسر كل ما اكتسبناه بعد المنع الذي فُرِض عليّ.
أراسْت : انا اتطلّع الى جميع الجهات ولا أرى أحداً
جولي : إفتحي عينيك جيداً، يا نارين، واحذري ان يُقْبِل الينا أيّ شخص
نارين : إتّكلي عليّ، وقولي بشجاعة ما تريدين أن تصارحيني به.
جولي : هل تصوّرت حلاً مناسباً لمسألتنا ؟ وهل تعتقد يا أراسْت، أننا نستطيع ان نتوّصل الى تفْشيل الزواج المزعج الذي صمّم أبي على تتميمه ؟
اراست : على الأقّل نحن نبذل جهدنا في هذا السبيل. وها قد جهّزنا عدّة مشاكل لقلْب هذه القضية السخيفة رأساً على عقب.
نارين : انتبهي. هذا والدك قادم.
جولي : هيا نفترقْ بسرعة.
نارين : لا، لا تتحرّكي. لقد أخطأتُ، وليس هو الآتي.
جولي : يا الهي. ما لك تضعضعين تفكيري بحماقتك وقلة وعيْك ؟
اراسْت : نعم، يا جولي الحلوة، لقد ابتدعنا عدة تضليلات، ونحاول أن نجنّد كل امكاناتنا بموجب السماح الذي تكرّمتِ به عليّ. فلا تسألي

عن الطرق التي يمكننا أن نلجأ اليها. سنُدهش الجميع بما سنفعله في هذا السبيل. فما عليك إلّا أن تستعدّي لكافّة المفاجآت بشرط ان لا ندع أحداً يتوقّع ما سنقوم به من ضروب الألاعيب. كوني على ثقة بأنّ لديّ ما لا يُحصى من الحِيَل التي سنستخدمها في حينها لبلوغ غايتنا. لأننا نتّكل ايضاً كثيراً على دهاء نارين ومهارة إسْبْريكاني لمساعدتنا في الوصول الى هدفنا.

نارين : طبعاً، ابوك يهزأ بنا، إذ يضع في أعلى المراتب هذا المحامي السيد دي بورْسيّاك الآتي من مدينة ليموج، وهو لم يشاهده في حياته. هل يحتاج والدك الى ثلاثة أو أربعة آلاف ليرة ذهبية ليزيد بها ثروته، حسب قول عمك الذي يقنعه بأن يحرمك من حبيبك المتفاني في هواك ؟ وهل انتِ خُلِقْتِ لتتزوجي مثل هذا المحامي الاحمق الدخيل ؟ ما باله لا يدع الناس ينصرفون الى شؤونهم ؟ إن اسم السيد دي بورسْيّاك وحده يثير غضبي الشديد نظراً لما بلغني عنه من قبائح. أنا لا أستطيع سماع ذكره، فكيف بي امام هجمته لاختطافك من بين أيدينا ؟ حقاً، لقد آليت على نفسي أن أحرق كل كتبي ومجلّداتي الثقافية اذا لم أتمكن من الحيلولة دون هذا الزواج البغيض. لأني لا أقوى على تصوّرك وانت تصبحين قرينة هذا السيد دي بورسْيّاك السخيف. لا، لا، إن اسمه وحده يجعل الدم يصعد الى رأسي ويورثني الجنون. لا، لا، لن يتمّ هذا الزواج أبداً. ونحن جميعاً مستعدون حتماً للجوء الى كل الوسائل، ولن نتورّع عن أية دسيسة أو مؤامرة لطرد هذا العريس غير المرغوب من هنا، وارجاعه الى مدينته ليموج حال وصوله إلينا. ما أحمق السيد دي بورسْيّاك هذا الذي لا أطيق حتى سماع اسمه القبيح.

اراسْت : هذا هو صاحبنا الداهية ابن نابولي البارّ الذي سيزوّدنا بآخر الاخبار.

المشهد الثاني

إسْبْريكاني، وجولي، واراسْت، ونارين

إسْبْريكاني : يا سيدي، وصل الرجل الذي تنتظره. وقد شاهدته عن بُعْد ثلاثة أميال حيث نام المسافرون في العربة التي تنقلهم. ثم في مطبخ النزل حيث يبيت، وهو يتناول طعام الإفطار، فراقبت أوضاعه مدة نصف ساعة من الزمان، وحفظتها غيباً. ولقد تبّينتُ من أيّة طينة صنعتْه الطبيعة، ورحتّ أُحصي حركاته وسكناته كما يجب. لكن، كن على ثقة بأن ذهنه من أغلظ ما في الوجود. وهو مادّة طيّعة نستطيع ان نتصرّف بها على هوانا. لأنه رجل لا رأي ولا مبدأ له وسنكيّفه كما نشاء.

اراست : هل هذا حقاً صحيح ؟

إسْبْريكاني : نعم، نعم، لأني خبير بأحوال البشر، كما تعرفني..

نارين : هذا رجل شهير، يا سيدتي. وقضيّتك بين يدي خبير عليم ليس أفضل منه لمعالجة مثل هذا المشكل. أجل هو إنسان مخلص، خاطر مرة بحياته ليخدم أصدقاءه بكرم ووفاء، إذ عرّض نفسه للهلاك أثناء مغامراته العديدة المعقّدة. وقد نُفِيَ أيضاً إلى بلاد بعيدة عن وطنه لأجل قضايا مشرّفة أصرّ على التمسّك بها رغم كل المحاذير.

إسْبْريكاني : لقد أخجلتموني بما تجودون به عليّ من مديح، بسبب ما قمت به من واجباتي، ولا سيما شرف إنقاذ الغريب الذي كان بصحبة بعض أصدقائي، ، وقد تهدّده أحد الأشرار بالقتل لأنه لم يدفع له فدية بلغ قدرها إثنَيْ عشر ألْف ليرة ذهبية، عندما اضطررتم الى توقيع عقد معه يفوق هذا المبلغ الضخم بكثير، فأدّى تدخلّكم لإنقاذه بوسيلة هكذا شهمة الى شنق المعتدي وزميله الذي يستعين به على تنفيذ وعيده.

نارين : هذه أمور تافهة لا تستحقّ الذكر، وقد جعل ثناؤكم خدّيّ يحمران من الخجل.

إسبريكاني : انا أُقدّر تواضعكِ. دعي هذا الكلام جانباً. ولنبدأ بحلّ مشكلتنا.

هيا ننضمّ الى صديقك، بينما نحن نتظاهر بتمثيل المسرحية التي خطّطنا تفاصيلها المُحْكَمَة.

اراست : على الأقل، يا سيدتي، تذكّري دورك جيداً. ولكي نستر لعبتنا، تظاهري أنتِ بقبولك قرار والدك بكل بساطة وطبعيّة.

جولي : اذا كان الامر ينقضي هكذا، ستنحلّ المسألة على أحسن ما يُرام.

اراست : لكن، يا عزيزتي جولي، ما العمل ان لم تنجح مساعينا ؟.

جولي : سأعلن رغبتي الحقيقة أمام والدي ليكون على بيّنة من أمره.

اراست : واذا أصرّ بعناد على تنفيذ قراره ؟.

جولي : سأهدّده بأني في هذه الحالة ذاهبة الى الدير، وارفض فكرة الزواج.

اراست : واذا بقي على عناده والحّ عليك لتقترني بالرجل الذي اختاره لك ؟.

جولي : ماذا تريد ان أفعل ؟.

اراست : تسألينني ماذا أريد أن تعملي ؟.

جولي : نعم .

اراست : أن تصرّحي له بما يعلنه العشاق عادةً في مثل هذا الموقف.

جولي : قل لي ماذا.

اراست : أعلني له أنْ لا قوّة في الدنيا تستطيع ان تجبرك على مطاوعته، حتى ولا تهديده ووعيده، وانكِ لن تكوني لزوج سواي.

جولي : يا الهي. إقنَعْ يا اراست، بما أصرّح به الآن، ولا تحدّد لي ما عليّ أن اقول لتلبية نداء قلبي. لا تتصوّر أن الواجب يحتمّ عليّ أن أجابه والدي بهذه الطريقة من التطرّف، فقد لا نحتاج اليها. وإذا اضطررنا الى الخروج عن المألوف، لا بد لنا من أن نحتاط للتخلّص بسهولة من مأزقنا الحرج.

اراست : ماذا تقولين ؟

اسبريكاني : مهلاً، ها هوذا الرجل، فعلينا أن نتروّى.

نارين : ما أصلب عوده.

المشهد الثالث

السيد بورْسيّاك (يلتفت الى الجهة التي يأتي منها، كأنه يخاطب أُناساً يلاحقونه)، واسبريكاني.

دي بورسْيّاك : ما الخبر ؟ ماذا يجري هنا ؟ ما أغرب هذه المدينة، وما أسخف سكّانها. لا أرى سوى سذّج واغبياء ينظرون اليّ ويضحكون بدون سبب. أيها المغفّلون، إنصرفوا الى أعمالكم ودعوا غيركم يهتمّ بشؤونه، ولا تسخروا من أحد. إن لصبري حدوداً ولا أضمن ضبط نفسي كي لا أوجّه الى كل منكم ضربة بقبضة يدي تحطّم رأسه.

اسبريكاني : ما هذا الحديث، يا سادة ؟ من يتكلّم هكذا ؟ وإلى من يوجِّه كلامه ؟ هل يحتاج الغريب هنا للجوء الى مثل هذا الانذار ليكون بأمان ؟

دي بورسياك : هذا رجل عاقل ينطق بحكمة ورويّة.

اسبريكاني : ما هي غايتكم ؟ ولماذا تضحكون ؟.

دي بورسيّاك : هذا حقاً ظريف.

اسبريكاني : هل مظهر هذا السيد يستدعي الاستغراب ؟.

دي بورسياك : نعم.

اسبريكاني : هل يختلف عن سائر البشر ؟

دي بورسياك : هل أنا مشوَّه أو أحدب ؟

اسبريكاني : عليكم ان تحترموا غيركم، لكي يحترمكم بدوره.

دي بورسياك : ما أعقل هذا المنطق.

اسبريكاني : إن مظهر هذا الانسان يستوجب كل اعتبار.

دي بورسياك : هذا صحيح.

اسبريكاني : وهو شخص رفيع المستوى.

دي بورسياك : نعم، انا فعلاً من طبقة النبلاء.

اسبريكاني : وهو أيضاً رجل ثقافة وكياسة.

دي بورسياك : وقد درستُ القانون أيضاً.

اسبريكاني : شرّف المنطقة بمجيئه الى هنا.

دي بورسياك : بدون شكّ.
اسبريكاني : اذاً ليس مخلوقاً يستدعي الضحك.
دي بورسياك : طبعاً، بكل تأكيد.
إسبريكاني : ان من يهزأ به سيؤدي لي حساباً عسيراً عن ذلك.
دي بورسياك : أنت تغمرني بمعروفك ولطفك، يا سيدي.
اسبريكاني : انا لا أرضى بأن تُساء معاملتك هكذا، يا سيدي، واعتذرُ لك عن استهتار بعض أهالي هذه المدينة.
دي بورسياك : لست أدري كيف أردّ لك جميلك.
اسبريكاني : لقد ابصرتك هذا الصباح في العربة، ثم حين كنت تتناول طعام الإفطار، وكيف كنت تأكل بأناقة ولباقة، الأمر الذي مهّد نشوء الصداقة المتينة بيننا. وبما اني أعرف جيداً أنك لم تأتِ سابقاً الى هذه الديار، وأنك لا تعرف أحداً هنا، أوّد أن أعرض عليك خدماتي، وأن أكون لك دليلاً أميناً بين جماعتنا الذين لا يصونون إجمالاً حرمة الغرباء الشرفاء الذين يقصدون منطقتنا.
دي بورسياك : هذا لطف زائد منك، يا سيدي الكريم.
اسبريكاني : كما قلت لك، منذ رأيتك، قدّرت مكانتك ومستواك الرفيع.
دي بورسياك : لا اعرف كيف اشكرك على ألطافك.
اسبريكاني : لقد أعجبني مظهرك ايضاً.
دي بورسياك : هذا شرف كبير توليني إياه.
اسبريكاني : لأني ايقنت بسمو اخلاقك الحميدة.
دي بورسياك : حقاً أنت إنسان تستحقّ كل اعتبار وإجلال.
اسبريكاني : هذا من سماحة نفسك ورحابة صدرك.
دي بورسياك : بل هذه هي الحقيقة المجرّدة.
اسبريكاني : كل هذا من مزاياك الأصيلة.
دي بورسياك : هذا حقاً تصرف مشكور بكل معنى الكلمة.
اسبريكاني : لا بل هذا أصدق دليل على علوّ همتك.
دي بورسياك : في الحقيقة، هذه صراحة تستحقّ الإكبار.

اسبريكاني : صدّقني، هذه طيبة قلب نادرة الوجود.
دي بورسياك : أؤكد لك أني أقدّر شهامتك حقّ قدرها.
اسبريكاني : هذا من أوجب واجباتي.
دي بورسياك : لقد سبقتني في اللياقة واللطافة.
اسبريكاني : أنا أخاطبك بمنتهى الوفاء والأمانة.
دي بورسياك : إني على يقين من صفاتك العالية النزيهة.
اسبريكاني : لأني عدوّ التزلّف والنفاق.
دي بورسياك : وانا واثق كل الثقة بما تقول.
اسبريكاني : إني لا استطيع إخفاء حُسْن نيّتي.
دي بورسياك : الامر الذي ألمسه لمس اليد.
اسبريكاني : لا تنظر الى ثيابي التي لا توازي ما ترتديه سيادتك. فأنا اتمسك ببساطة المظهر وصدق القول.
دي بورسياك : تصّرفك رائع، لم أشاهد له مثيلاً في حُسْن الضيافة والإكرام. مع أني مطّلع جيداً على أصول العيش في الأرياف والمدن ايضاً.
اسبريكاني : صّدقني، انا لا أُحبّ التملّق أبداً.
دي بورسياك : لقد قال لي خيّاطي إن زيّي غنيّ وفقير في آن واحد، وإنه لن يُلفت الانظار هنا بتاتاً.
اسبريكاني : بالعكس هو في غاية الأناقة والذوق السليم. ألا تريد أن تزور قصر اللوفر لتقدّم احتراماتك للملك ؟.
دي بورسياك : لا بدّ لي من الذهاب إلى هناك.
اسبريكاني : لأن الملك سيُسَرّ بزيارتك.
دي بورسياك : هذا لسان حالي انا ايضاً، وشرف كبير افتخر به.
اسبريكاني : والآن، هل حجزت مكاناً تبيت فيه ؟
دي بورسياك : كلاّ. أنا أبحث عن استضافة لائقة.
اسبريكاني : يسرّني أن أجد لك ما تبحث عنه، لأني أعرف جيداً هذه الجهات.

المشهد الرابع

اراسْت، واسبريكاني، ودي بورسْيّاك

اراست : ما هذا ؟ ماذا أرى ؟ هذه صدفة سعيدة. لان مشاهدتك، يا سيدي دي بورسياك، تبهجني كثيراً. وكم أنا مسرور بلقائك المفاجئ. كيف جرى ذلك ؟ يظهر عليك انك لم تتذكّرني بعد.

دي بورسياك : انا في خدمتك، يا سيدي.

اراست : هل يُعقَل أن تكون الاعوام الخمسة او الستة التي حرمتني من رؤياك قد مَحَتْ صورتي من ذاكرتك ؟ وأنت تلتقي الآن بأخلص صديق لأسرة دي بورسياك ؟ .

دي بورسياك : أُعذرْني (يخاطب اسبريكاني) : لا أعرف من يكون هذا الشخص.

اراست : لا يوجد أحد من اسرة بورسياك النبيلة في مدينة ليموج لا أعرفه منذ زمن طويل. وانا لم أعاشر أحداً لا ينتمي الى هذه الأُسرة الكريمة التي كنت أزورها تقريباً كل يوم. هذا شرف أعتزّ به حقّاً.

دي بورسياك : الشرف لي، يا سيدي.

اراست : ألا تتذكر وجهي مطلقاً ؟

دي بورسياك : أجل، اجل. (يخاطب اسبريكاني) الآن تذكرته تماماً.

اراست : الا تتذكّر اني شربت نخبكم مراراً عديدة ؟

دي بورسياك :· أُعذرْني. (يخاطب اسبريكاني) : لا أفهم عمّا يتكلّم.

اراست : ما اسم المطعم الشهير الذي يُقدِّم لزبائنه أشهى المآكل ؟

دي بورسياك : اسم المطعم « حنّا الصغير ».

اراست : هذا هو. كنّا نذهب اليه معاً في معظم الأوقات للتسلية والتلذُّذ بمآكله الفاخرة. وما اسم المكان الذي كنا نقصده للتنزّه في ليموج ؟

دي بورسياك : تلّة مقبرة الذوات.

اراست : تماماً. وكنّا نقضي فيه أطيب الاوقات بمحادثتكم الطليّة. ألا تذكر الآن ذلك ؟

دي بورسياك : أُعذرني إن لم أتذكره. (يخاطب اسبريكاني) : أنا لا أتذكّر ....
اسبريكاني : هناك مئات الامور التي لا أتذكّرها أنا ايضاً.
اراست : عانقْني، من فضلك لنوثّق علاقاتنا الحميمة القديمة.
اسبريكاني : حقّاً، هذا الرجل يحبّك بصدق وإخلاص.
اراست : أُخبْرني كيف أحوال عموم أفراد العائلة ؟ وكيف حال السيد ... إنه من أشرف الرجال الذين أعرفهم.
دي بورسياك : تعني أخي القنصل ؟
اراست : نعم، هو بعينه.
دي بورسياك : صحّته جيدة، والحمد لله.
اراست : هذا يسّرني حقيقة، لأنه مَرِح المزاج حلو المعشر. والسيد ....
دي بورسياك : تعني ابن عمّي مساعد القاضي ؟
اراست : هو بالذات.
دي بورسياك : دائماً نشيط وخدوم كعادته.
اراست : يسرّني أن أطمئنّ الى ذلك، والسيد عمّك ؟ ...
دي بورسياك : لا عمّ لي ؟ .
اراست : بلى، كان لك عمّ في تلك الأيام ؟ .
دي بورسياك : لا، ليس لي سوى عمّة واحدة.
اراست : هذا ما كنت أقصده. كيف حال السيدة عمّتك ؟
دي بورسياك : تُوُفِّيَتْ منذ ستة أشهر.
اراست : رحمها الله. مسكينة هذه المرأة. كانت طيبة القلب.
دي بورسياك : هناك ابن اخي الراهب الذي أوشك ان يقضي عليه المرض.
اراست : مسكين، هو لا يستحقّ إلّا كل خير.
دي بورسياك : هل تعرفه هو أيضاً ؟
اراست : طبعاً، كنت أعرفه. وهو شاب طويل القامة لطيف المعشر.
دي بورسياك : ليس طويل القامة كما تقول.
اراست : لكنه قويّ البنية.

دي بورسياك : أجل، أجل.
اراست : لكن ابن أخيك ...
دي بورسياك : نعم.
اراست : ابن أخيك أو إبن إختك ...
دي بورسياك : ما به ؟
اراست : يخدم كنيسة ... لا أذكر ما اسمها.
دي بورسياك : كنيسة القديس اسطفانوس.
اراست : هو بذاته الذي لا أعرف سواه.
دي بورسياك : يبدو عليك انك تعرف جميع انسبائي.
اسبريكاني : هو يعرفكم جيّداً اكثر مما تظنّ.
دي بورسياك : على ما أرى، لا بدّ من ان تكون قد مكثت زمناً طويلاً في مدينتنا.
اراست : طوال عامَيْن كاملَيْن.
دي بورسياك : كنتَ إذاً هناك يوم قدّم ابن عمّي المُنتَخب ولده الى سيادة الحاكم ؟
اراست : نعم، بالطبع. وكنت من أوّل المدعوّين.
دي بورسياك : هذا حقّاً ظريف.
اراست : ظريف جدّاً.
دي بورسياك : وكان العشاء فخماً للغاية.
اراست : بدون شكّ.
دي بورسياك : وقد شهدتَ الشجار الذي نشب بيني وبين أحد الذوات المتبجّجين ؟
اراست : طبعاً، طبعاً.
دي بورسياك : حقّاً ؟ ولقد ابصرت اذاً من يكلّمه ؟
اراست : فعلاً.
دي بورسياك : لقد صفعني، لأني صارحته بكل نقائصه.
اراست : طبعاً. بالتالي، أظن انك ستحلّ في المكان حيث أبيت انا.

دي بورسياك : لم أحجز بعد مكاناً.
اراست : هل تمزح ؟ لن أرضى أبداً أن ينزل اعزّ أصدقائي في بيت سواي.
دي بورسياك : لكني سأكون ...
اراست : لن أقبل أبداً. ستنزل ضيفاً في بيتي أنا.
اسبريكاني : بما انه يطلب ذلك منك بإلحاح، لا بدّ من أن تكون ضيفه.
اراست : أين حقيبة سفرك ؟
دي بورسياك : تركتها مع خادمي حيث كنت منذ فترة.
اراست : أَرْسِلْ في طلبها فيأتيك بها حالاً الى هنا.
دي بورسياك : لا، لا. لقد منعته من إتيان أيّة حركة إلّا اذا كنت معه، خشية أن يكون ضحية ألاعيبه المزعجة.
اسبريكاني : هذا عين الصواب والتبصّر.
دي بورسياك : لأني لست واثقاً من حسن تصرفه.
اراست : لا سيما حيال امثالك من أهل الظرف والكياسة.
اسبريكاني : سأرافق هذا السيد وآخذه الى حيث تشاء أنت.
اراست : أجل. يسرني ان أُصدر اليه بعض الأوامر، وعليك أنت أن تسهر على تنفيذها، وأن تعود الى هنا في أقرب وقت.
اسبريكاني : نحن بانتظارك، فلا تتأخّر في موافاتنا.
اراست : وانا انتظرك أيضاً بفارغ الصبر.
دي بورسياك : هذا صديق لم أكن أترقب أن أصادفه في هذا المكان.
اسبريكاني : يبدو عليه انه إنسان شهم.
اراست(وحده) : ستسمع أخبارنا عما قريب، ونحن مستعدّون لمواجهتك بكل أنواع المعارضة. فالامور جاهزة، وما علينا إلّا إطلاق الإشارة المتّفق عليها للمباشرة بالهجوم.

المشهد الخامس

الصيدلي، وأراست.

اراست : أظنّ أنك الطبيب الذي ذهب أحد من قِبَلي لإستدعائك.

الصيدلي : لا، يا سيدي. لست أنا، لأني لست طبيباً، ولم أَحْظَ بهذا الشرف السامي إذْ إني لست سوى صيدلي بسيط في خدمتك.

اراست : وهل الطبيب موجود في داخل عيادته ؟

الصيدلي : أجل هو هنا، ومنهمك بمعالجة بعض المرضى. سأنبئه بحضورك.

اراست : لا، لا تزعج نفسك. سأنتظره لأقابله بغية مرافقته الى أحد ذويّ، وقد كلّمته عنه، فقد أُصيب بنوبةِ هوس، ونودّ ان يعالجه قبل أن يعقد زواجه قريباً.

الصيدلي : انا مطّلع على هذه الحالة. أجل، وكنت بصحبته حين أُنبِئَ عن هذه الوضعية. حقاً، لا يسعكم أن تستعينوا بطبيب أمهر منه. لأنه عالمٌ يُتقن الطب بدقّة وإمعان. وأمام خطر الداء واستفحاله لا يُهمل حرفاً واحداً من توصيات أساطين الطبّ القدماء. نعم، هو من أبرع الأطباء الذين يتبعون القواعد الجوهرية، ولا يبحث عن علّة إلّا أصاب هدفه في الصميم. ولو قُدِّم له ذهب العالم برمّته لا يُعطي فعلاً لمعالجة المريض إلّا الدواء الناجح الذي تسمح به أهم كلّيات الطبّ.

اراست : حسناً، يفعل. لان المريض لا يصحّ عملياً إلّا بتناول الدواء الذي توصي به كلّية الطب.

الصيدلي : لا لكوننا أصدقاء، أنا أتكلم عنه هكذا، بل لأني، لو كنت مريضاً، أرتاح الى ان يعالجني هو بنفسه. وأفضّل دائماً أن أموت على يده بتناول دوائه وان لا يشفيني طبيب سواه. إذ اني واثق بأن الأمور مهما تقلّبت تظل بفضله ضمن حدود إمكان الشفاء القريب حتماً. واذا مات العليل وهو قيد المعالجة، فإنّ ورثته لن يجدوا ما يلومونه عليه من خطأ.

اراست : حقّاً، هذا أكبر عزاء للمُتَوَفّي أيضاً.

الصيدلي : بكل تأكيد. لأن الميت يعلم علم اليقين، بأن هذا الطبيب البارع

لا يساوم على الامراض، لأنه رجل إنساني لا يحبّ التخلّص من مرضاه. وعندما يحين الأجل المحتوم لا تتعقّد معه الأمور، بل يبادر المريض الى الخضوع ويتقبّل الموت على أهون سبيل وبأسرع وقت ممكن في هذهِ الدنيا الفانية.

اراست : في الواقع، لا أَفْضَل من انتهاء العمر بمثل هذه البساطة والعجلة.

الصيدلي : هذا صحيح. وما الفائدة من إطالة المعالجة واللّف والدوران. فمِن عادته أن لا يطيل مدة المرض والمداواة اكثر من أربعة أيام. بينما سواه رُبما مدّد المهلة الى ثلاثة اشهر، إن أمكن ذلك.

اراست : حقّاً يسرّني أن يكون لي صديق نظير هذا الطبيب الماهر العَجُول.

الصيدلي : بدون شك. انا لم يبقَ لي سوى ولدَيْن يهتم بهما كأنهما إبناه. وهو يداويهما ويتدبر أمرهما على هواه بدون ان يحيجني الى التدخل في شؤونهما. وفي أغلب الأحيان عندما أعود من المدينة يدهشني ان أراه يعالجهما ويعطيهما مسهّلاً بموجب مقتضيات المرض.

اراست : هذه معالجة فعّالة تستحقّ الشكر.

الصيدلي : ها هوذا الطبيب قادم.

المشهد السادس

الطبيب الاوّل، والفلاّح، والفلاّحة، وأراست، والصيدلي.

الفلاّح : هذا السيد لا يُطيق صبراً أكثر مما فعل، لأنه يشعر بأن آلام الدنيا كلها تنهال على رأسه.

الطبيب الاول : هذا المريض أحمق بالإجمال، لأنه لا يعرف ما به تماماً. فالمرض لم يُصِبْ رأسه كما قال جالينوس أبو الطبّ، بل طحاله في الواقع مريض، وهو الذي يُوجعه.

الفلاّح : مهما كان الأمر، يا سيدي، فإنّ معدته لم تؤلمه منذ اكثر من ستة أشهر.

الطبيب الاول : حَسَن. هذه علامة تدلّ على ان علّته الداخليّة تتوضّح. بعد يومين أو ثلاثة سأذهب لزيارته. لكن، اذا مات قبل هذا الموعد، لا تنسوا ان تعلموني، إذ ليس من اللائق أن لا يزور الطبيب مريضاً قبل وفاته.

الفلاّحة : ابي، يا سيدي، يزداد مرضه سوءاً باستمرار.

الطبيب الاول : هذا ليس بسببي، ولا نتيجة غلطي. فلماذا لا يصحُ. كم مرة قصدْتموه في هذه الأثناء.

الفلاّحة : خمس عشرة مرة، يا سيدي، منذ عشرين يوماً حتى الآن.

الطبيب الاول : خمس عشرة مرة ؟

الفلاّحة : نعم.

الطبيب الاول : ولم يصحّ بعد ؟

الفلاّحة : كلاّ، يا سيدي.

الطبيب الاول : هذا برهان على أن مرضه ليس في الدم. سأعطيه مسِّهلاً على عدد هذه المرّات لأرى إن كان مزاجه في الواقع هو المريض. وإن لم تظهر حقيقة أمره، سأرسله الى الحمّامات.

الصيدلي : هذا علاج مفيد، وهنا تبرز مهارة الطبيب.

اراست : انا، يا سيدي، قد أرسلت اليك نسيباً لي مشّوش الذهن قليلاً، وأريد ان تبقيه عندك حتى تجد له الدواء الناجع لشفائه.

الطبيب الاول : نعم، يا سيدي. كن مطمئنّ البال من نحوه. لأني إتخذت كل الاحتياطات اللازمة، وسأحيطه بالعناية الضرورية لشفائه بأسرع وقت ممكن.

اراست : من هو هذا القادم ؟

الطبيب : صدفة سعيدة. هذا زميل من أعزّ أصدقائي، سأستعين به لتشخيص المرض ومعالجته على نور فوراً.

المشهد السابع

دي بورسياك، واراست، والطبيب الاول، والصيدلي.

اراست : طرأتْ عليّ مسألة بسيطة تضطرني الى مغادرتكم بعض الوقت. غير أني أترك لكم شخصاً يقدّم حتماً ما تحتاجون اليه من مساعدة بدلاً عني، وسيعالج مريضكم بأضمن الطُرق.

الطبيب الاول : واجبات مهنتي تجبرني، وأنا مستعد لبذل كل جهد وعناية ضرورية.

دي بورسياك : هذا رئيس الطُهاة في المنزل، ولا بدّ من ان يكون رجلاً ماهزاً.

الطبيب الاول : أجل، وأعدكم بأن أعالج المريض بانتظام حسب قواعد مهنتنا وفنّنا الرفيع.

دي بورسياك : يا الهي. انا لست بحاجة الى كل هذه الرسميّات، وحضوري هنا ليس لإرباك أي شخص.

الطبيب الاول : هذا تصريح يطمئنني ويبهجني.

اراست : خُذْ هذا المبلغ سلفاً بانتظار تسديد ما يتوجّب عليّ كما وعدتك.

الطبيب الاول : لا، لا. أرجوك. أنا لا أريد أن أسبّب لك أي مصروف، وأصرّ على ان لا تقدّم لي أيّة هدية.

اراست : يا الهي. ما هذا الكلام ؟ دعني أتصرّف. إنّ ما اقصده لا ينطبق على ما تفكّر أنتَ به.

دي بورسياك : أرجوك ان تعتبرني وتعاملني كصديق.

اراست : هذا بالذات ما أريد عمله. (بصوت خافت يخاطب الطبيب) : أرجوك ان لا تدعه يبتعد عنك. بل أتركه دائماً تحت أنظارك، لأنه سريع الزَوَغان ولا يلبث ان يختفي عن بصرك.

الطبيب الاول : لا يقلقْ بالك.

اراست(**يخاطب دي بورسياك**) : أرجوك أن تعذرني على ما صدر منّي من قلّة اللياقة.

دي بورسياك : هل تمزح معي ؟ أنت تغمرني بأفضالك.

المشهد الثامن

الطبيب الاول، والطبيب الثاني، دي بورسيّاك، والصيدلي

الطبيب الاول : هذا شرف كبير لي، يا سيدي، أن تختارني لأقدّم لك خدمة.
دي بورسياك : انا في خدمتك.
الطبيب الاول : هذا الرجل الماهر زميلي، وسنتشاور معاً لمعالجتك بأفضل الأدوية.
دي بورسياك : لا حاجة لهذه الرسميّات. فأنا رجل قانع بالوسائل العاديّة.
الطبيب الاول : هيا اجلبوا لنا بعض المقاعد.
دي بورسياك : هؤلاء الخدم غير كُفْءٍ لتنفيذ أوامرِ مثلِ هذا الرجل الشهير.
الطبيب الاول : هيا اجلسْ في مكانك، يا سيدي.
(عندما يقعد الجميع، يتناول كلّ من الطبيبَيْن إحدى يديه ويجسّان نبضه معاً).
دي بورسياك(يمدّ يَدَيْه) : أنا خادمكما الأمين. (حين يرى أنهما يجسّان نبضه يتساءل) ما معنى ذلك ؟
الطبيب الاول : هل تأكل جيداً، يا سيدي ؟
دي بورسياك : نعم، وكذلك أشرب بصورة أفضل.
الطبيب الاول : بئس هذا الفعل. لأن شهيّتك هذه تسبّب لك البرد والرطوبة. وهذه إشارة الى أن الحرارة والنشاف يستبدّان بجوفك. هل تنام كما يجب ؟
دي بورسياك : نع، بعد ان اتناول عشاءً دسماً.
الطبيب الاول : وهل تبصر أحلاماً أثناء نومك ؟
دي بورسياك : أحياناً.
الطبيب الاول : أي نوع من الأحلام ترى ؟
دي بورسياك : هي كسائر الأحلام. ما هذا السؤال الغريب ؟
الطبيب الاول : وكيف حال خروجك، يا تُرَى ؟
دي بورسياك : انا لا أفهم معنىً لكل هذه الأسئلة. والآن انا أودّ أن أشرب جرعة.
الطبيب الاول : صبراً. سنتداول في حقيقة أمرك أمامك وباللغة التي تعرفها

لا اللاتينية، لكي تفهم ما يدور بيننا من مناقشة.

دي بورسياك : ما فائدة المماحكات للسماح لي بأن آكل لقمة ؟

الطبيب الاول : بما ان شفاء المرض يحتّم معرفة العلّة معرفة تامّة، لكي يتسنى للطبيب ان يلاقي لها العلاج اللازم، بعد التشخيص الصحيح، يا زميلي الخبير، لا بدّ من الإهتداء الى المرض لكي يستعمل الطبيب لمداواته العلاج الناجح ويستأصل العلّة من جذرها. لذا أصرّح، بعد استئذانك، يا زميلي العزيز، ان مريضنا الحاضر ها هنا قد أرهقه ألم المرض الى حدّ جعله يفقد صوابه. لذلك يمكننا أن ندعو مرضه كآبة عصبيّة، هي من نوع الجنون المزعج، ويتطلّب اللجوء الى نطاسيّ مثلك متضلّع من فنّنا العويص الذي يشيّب شعر الرأس على مدى السنين الطويلة في الاختبارات الطبّيّة المذهلة. وأُسمّي هذه الحالة كآبة عصبيّة لأُميّزَها عن غيرها من الحزن الباطني الذي ينتاب المرضى الضعفاء على نوعَيْن. وقد بيّن أبو الطب جالينوس عن خبرة واسعة أن هناك ثلاثة أصناف من هذا المرض الخطير الذي ندعوه الإغريق، ووافقوا على تسميتها بصيغها الثلاث : الاولى الناجمة عن إصابة الدماغ، والثانية المتأتّية عن الدم، وهي حالة صعبة، والثالثة تُسمّى العصبية، وهي في الواقع من النوع الذي نعالجه الآن هنا، وسببها آلام يشعر بها المريض في أسفل بطنه من الجهة اليمنى أي من جهة الطحال. لأن حرارته والْتهابه يصعدان الى النخاع، في مثل هذه الحالة المصاب بها مريضنا، وكأنه دخان كثيف أسود ولزج أوْ بخار دهني خبيث يشلّ أهمّ وظائف الذهن، كما تظهر أعراضه على عليلنا المسكين المغلوب على أمره. أنا اعتقد أنّ هذا التشخيص الجدّي الذي لا يمكن نقضه، هو بكل تأكيد سبب هذا الحزن المتأصّل الذي يسيطر على كيان الإنسان. وفي الغالب يُخشى أن تتطوّر علّته حسب الدلائل الواضحة التي نراها، وتتعقّد أكثر مما نترقّب. كما كان يردّد شيخ الطبّ هيبوقراط. وتظهر نتائجه المقلقة على ملامح المريض وفي عينَيْه المحمّرتَيْن التائهتين في الفضاء، وعلى لحيته الطويلة، وعلى جسمه النحيل الهزيل المائل الى السواد والتجعيد. لأن حالته المتدهورة تثبت وصول المرض الى مرحلة خطيرة مقلقة، ما دامت صحته

المتدهورة تتعدّى الحدود الطبيعية لتصبح في الشيخوخة سريعة التطوّر جداً، وتنتهي بعارض جنون يشتمل على تحركات غير معقولة، وإرهاق لا مزيد عليه يؤدّي به الى الاختناق أو الى انفجار الغضب والعنف والجنون المطبق. كل هذه إفتراضات، لأننا لا نزال نجهل حقيقة أصل العلّة، مع العلم ان معرفة الداء هي نصف الدواء. وهذا الوضع الحرج لا يسهّل علينا أن نصف له العلاج الملائم. اوّلاً لأن مداواة المرض قد تغلّبت عليه كثرة الإنسدادات والاشتراكات في زحمة هذه التقلّبات غير المألوفة في عناصر الجسم. فأنا من رأيي أن نجري له عملية الفصْد الحرّة التي تقوم على تكرار النزْف بكمّيّة وافرة : أوّلاً في مكان رئيسي من صُلْبه، ثم في دماغه. واذا استعصي المرض، لا بد من المبادرة الى فتح أحد عروقه في الجبين مثلاً، على أن تكون الفتحة عريضة لتمكين الدم من النزف بغزارة. وفي الوقت عينه نسقيه مسهِّلا لتفريغ جهازه الهضمي بطريقة فعّالة مناسبة، بتناوله موادّ تنشّط له إفرازات المرارة التي أورثته السويداء. وبما أن أصل هذه العلّة كامن في الموادّ الدهنية التي تُربك عمل أجهزته الباطنية وتسبّب له كما قلنا أبخرة سوداء كثيفة تسدّ وتعيق وتلوِّث وظائفه الحيوانية، يجمل به أن يسْتحّم بالماء النظيف مع شرب قليل من الحليب ليطهِّر بالماء النظيف سواد هذا البخار قبل أن يستفحل أذاه. ثم ارى من الضروري أن ندعه يبتهج بسماع الأحاديث المرحة والأغاني والرقصات بمرافقة انغام الآلات الموسيقية الجَزْلى التي بحركاتها الهازجة تُدخل السرور الى قلبه، وتطرد عنه الحزن والكسل اللذَيْن يستوليان على ذهنه، فتغلّفه الكآبة وينتابه الخمول بسبب تكاثف الدم وتباطُؤ دورته الدموية التي بتمّهلها تزيد المرض خطورةً. وهناك وسائل أخرى يمكن معالجته بها، يا زميلي العزيز الخبير حسب التجارب التي أوصلتْنا الى هذا الاستنتاج على ضوء المعلومات والإختبارات التي اكتسبناها من ممارستنا فنّ الطبّ الشامل.

الطبيب الثاني : لا سمح الله، يا زميلي الكريم، أن تخطر ببالك إضافة أيّ تفصيل الى ما تقدّمت به من شرح وتبيين وافيّين. فقد تناولتَ الموضوع من جميع جوانبه وأظهرت الأعراض والاسباب التي أوصلت المريض الى

هذه الحالة التعيسة. في الحقيقة، جميع ما تفضّلتَ بإعلانه عن حكمة وثقة، إذا لم تبدو أعراضه عليه بجلاء لا بدّ من ان تظهر نتائجه الاكيدة عند الفحص الدقيق. نعم، يا زميلي العزيز، لقد وصفت بتخطيطك الواضح كل ما يمكن أن يبلغه المرض الخطير من أعراض وتعقيدات، وليس اكثر تحفظاً وعلماً من استنتاجك الذي صوّرت مراحله الداخلية، وأعلنت كيفيّة معالجته بالوسائل الفعّالة العاجلة. ولم يبقَ هنا إلّا أن أهنئك على مقدرتك الطبّيّة الخارقة، لتجول دون تفاقم حالة المريض وبلوغها مرحلة الحزن الشامل العميق. وكل ما هو أمامنا ان نفعله، المبادرة الى فصْده بمقادير كافية. وانا أوافق على كافّة الإجراءات التي تراها ضرورية، من فصد وتسهيل الخروج والحمّامات بالماء النظيف، ثم اللجوء الى نقع القدمَيْن في الماء المُشْبَع ملحاً، وذلك على عدد مرّات مفردة، لأن الملح رمز العلاج والمنفعة، إذْ يُستخدم لمزجه بالكلس في تبييض جدران غرفة المريض بغية تبديد الأفكار السوداء عن ذهنه المرهق. ولا يَحْسُن أن نصرّح له بأن عليه أن يعتبر نفسه سعيداً أثناء جنونه، وأن يكون قد وقع بين أيدينا لنختبر الأدوية التي نعطيه إياها حسب اقتراحك السديد، بقصد إبرائه عاجلاً. والأمل بالله أن يشفى، وان نكون قد توفّقنا الى معالجته بالوسائل الصحيحة الناجحة.

دي بورسياك : منذ ساعة، وانا أستمع اليكم، يا سادتي. فهل ما تقولونه هو دور في مهزلة تمرّنتم جيداً على أدائه ؟.

الطبيب الاول : كلاّ، يا سيدي، نحن لا نمثّل مسرحية.

دي بورسياك : فما هو الذي قمتم به الآن إذاً ؟ ما هذه الألفاظ المبهمة والسخافات التي ردّدتموها على مسمعي ؟.

الطبيب الاول : اتحسبها تفاهات ؟ .هذا تشخيص مرضك حسب أفضل قواعد الطب الأصيل، التي كانت ضرورية للاهتداء على علّتك، وإلّا كانت خطورة مرضك قد تفاقمت واعترتك اشتراكات مشؤومة لا يُعرف مداها.

دي بورسياك : مع من وُضعتُ انا هنا، وفي أيدي من وقعت ؟ أرجوكم أن تفيدوني. (يبصق على الارض مرّتَين او ثلاث مرّات).

الطبيب الاول : هناك تشخيص آخر لا بدّ منه. وهو بخصوص النوبات والتشنّجات التي يمكنها أن تنشأ وتعقّد مرضك.

دي بورسياك : دعونا الآن من هذا ولنخرج حالاً من هنا.

الطبيب الاول : يجب الإنتباه الى عامل هام آخر هو القلق من استبدال المكان.

دي بورسياك : وما هي هذه المسألة الجديدة ؟ وماذا تريدون منّي بالضبط ؟.

الطبيب الاول : أن نشفيك حسب مبادئ الطبّ الذي تلقنّاها.

دي بورسياك : لكي تشفوني ؟.

الطبيب الاول : نعم.

دي بورسياك : ومن قال لكم إني مريض ؟.

الطبيب الاول : هذه علامة لا تعجبني بتاتاً. لا سيما عندما لا يشعر المريض بأنه عليل.

دي بورسياك : أؤكّد لكم أني بصحة تامة.

الطبيب الاول : نحن نعرف اكثر منك إن كنت مريضاً أو لا. نحن الأطباء نرى الأمور بوضوح حتى في داخل جسمك.

دي بورسياك : وإن كنتم أطباء، ما لي ولكم. فأنا لست بحاجة اليكم. وبطبيعة الحال انا أهزأ بالأطباء أمثالكم.

الطبيب الاول : لا حول ولا ..... هذا الرجل مهووس بل مجنون اكثر ممّا كنّا نظنّ.

دي بورسياك : أبي وأمّي لم يريا في حياتهما أيّ طبيب للمعالجة، وقد ماتا كلاهما بدون مساعدة أيّ طبيب.

الطبيب الاول : لذا أنا لا أتعجّب إذا كانا قد أنجبا ولداً فاقد الرشد مثلك. هيّا نبدأ بالمعالجة، أوّلاً بلطف ولين وانسجام لنخفّف عنك وطأة الكابوس الذي يجثم على صدرك، وتصعد أبخرته الضارّة الى دماغك وتضعضع تفكيرك، وتجعلك تخبط خبط عشواء في تصريحاتك عن صحتك المتدهورة بدون أن تعي أنت خطورة وضعك، لا سيما من الناحية العقلية المؤسفة.

المشهد التاسع

دي بورسيّاك

دي بورسياك : ما هذا يا جماعة ؟ الناس في هذا البلد غير متّزني البصر والبصيرة. وأنا طوال حياتي لم أشاهد أشخاصاً مثلهم فاقدي الوعي والضمير. في الحقيقة، لم أعد أفهم ما يجري حولي..

المشهد العاشر

طبيبان (إيطاليان مرتديان ثياب أطباء يتبعهما) ثمانية رجال، (ضخام الجسم، ينشدون أغنيات غير مفهومة، وَهُمْ يحملون أدوات غير مألوفة).

المشهد الحادي عشر

الصيدلي، ودي بورسيّاك.

الصيدلي : هذا دواء لطيف، عليك أن تتناوله، من فضلك.
دي بورسياك : ما هذا ؟ أنا لست بحاجة اليه.
الصيدلي : يا سيدي، لقد أمر الطبيب بإعطائك إياه بدون إمهال.
دي بورسياك : ما هذه القصة السخيفة.
الصيدلي : هيّا تناوله، ولن يؤذيك أبداً. أُؤكّد لك انه غير ضارّ على الإطلاق.
دي بورسياك : آه منك ومن عنادك.
الصيدلي : هذا مسهِّل لطيف، لا يُضرّ، ومفعوله غير عنيف. هذا، يا سيدي، أفضل ما يوجد من المطهِّرات.

(الطبيبان المزعومان مع مرافقيهما وآلاتهم الغريبة يرقصون حول دي بورسيّاك. ثم يقفون أمامه، وينشدون كلاماً غير مفهوم).

دي بورسياك : إذهبوا عني الى جهنّم، أيها الشياطين الملاعين.

الفصل الثاني

المشهد الاول

إسْبْريكاني، والطبيب الاول

الطبيب الاول : لقد اخترق كل الحواجز التي وضعتُها حوله، وهرب من العلاجات التي بدأتُ أناوله إياها.
إسبريكاني : هو فعلاً عدوّ نفسه، لأنه هرب من مداواتكم التي ستشفيه.
الطبيب الاول : وهذا أكبر دليل على أنّ دماغه مشوَّش وعقله مشتَّت، إذا كان مصمّما فعلا على البقاء مريضاً ولا يريد الشفاء.
إسبريكاني : حتماً كانت علاجاتكم قد أبرأته بسرعة.
الطبيب الاول : بدون شك، لأنه مصاب بإثني عشر مرضاً.
إسبريكاني : ولقد سبّب لكم خسارة مبلغ كبير من المال بهربه هكذا.
الطبيب الاول : أنا لا أودّ أبداً ان أخسره، وسأشفيه رغماً عنه. لأنه مرتبط ومتعهّد بتناول أدويتي. سأطلب توقيفه حيث هو الآن كهارب من الطبّ، يتمنّع عن تناول علاجاتي.
إسبريكاني : الحق معك. مفعول أدويتك مضمون وأكيد، وبتصرفه الغريب قد سرق مالك.
الطبيب الاول : أين يمكنني أن أتسقّط أخباره الآن ؟.
إسبريكاني : طبعاً عند العمّ أُورونْت الذي جاء اليه ليزوجه إبنته. وهذا

الاخير لا يدري مطلقاً بحالة صهره الصحيّة وبامكان إصابته بالشلل في المستقبل القريب، وربما استعجل في عقد هذا الزواج.

الطبيب الاول : سأفاتحه بالأمر حالاً.

إسبريكاني : حسناً تفعل.

الطبيب الاول : سأحتجزه عندي حتى يدفع لي اتعابي، ولن أدعه يسخر من طبيب مثلي.

إسبريكاني : هذا خير تصرّف تقوم به. وإذا أصغيت الى نصيحتي، لا تدعْه يتزوج ابداً قبل أن يسدّد لك ما يتوجّب عليه عدّاً ونقداً.

الطبيب الاول : دعني أتصرف.

إسبريكاني : وانا من جهتي، سأفعل ما بإمكاني. لأن الصهر وحميه أحدهما أغبى من الآخر.

المشهد الثاني

أورونت، والطبيب الاول

الطبيب الاول : السيد دي بورسيّاك، على ما بلغني، يريد ان يقترن بابنتك.

اورونت : نعم، وأنا انتظر قدومه من مدينة ليموج، ومن المفترض أن يكون الآن قد وصل.

الطبيب الاول : عليّ أن أُخبرك إذاً أنه هرب من معالجتي إيّاه بعد أن استدعاني، وفحصته فحصاً دقيقاً ووصفت له الأدوية اللازمة بموجب قوانين الطب، وأنا امنعك من إتمام هذا الزواج الذي وافقتَ أنت عليه، قبل أن أنهي مداواتي علله، وأن أُعِدَّه لإنجاب اولادٍ سليمي الجسم والعقل.

اورونت : ماذا تقول ؟.

الطبيب الاول : إن صهرك أصبح من مرضاي. وعلته التي طلب اليّ ان أشفيه منها هي كقطعة أثاث تخصّني، وأحسبها جزءاً من أملاكي. فاعلمْ

جيداً أني لن أَدَعَه يتزوّج قبل أن أقوم أنا بواجبي، وأن يسدّد هو لي اتعابي القانونية لقاء مداواتي اياه.

اوروزنت : وهل هو مريض ؟

الطبيب الاول : ماذا تقول، يا رجل ؟

اوروزنت : ما هو مرضه، من فضلك ؟

الطبيب الاول : لا موجب للقلق عليه.

اوروزنت : انا أسألك : ما هو مرضه ؟

الطبيب الاول : الأطباء مرتبطون ومتعهدون بالمحافظة على سرّ المريض. يكفي أن أنصحك انت وان انصح ابنتك أيضاً بأن لا تحقّقا هذا الزواج بدون موافقتي وأن لا تقيما أيّة حفلة بدون أُذْني، وإلّا تكونان قد خالفتما شريعة كلية الطب، وتكونان قد جلبتما العلل والأمراض على رأسكما. وهذا ليس من صالحكما، ولا يرضي ضميركما بتاتاً.

اوروزنت : أنا، والحالة هذه، غير مُلْزَم بعقد أيّ زواج.

الطبيب الاول : لقد استُدعيتُ لأجل مداواته، وهو مرغم على أن يصبح مريضي.

اوروزنت : خيراً تفعل.

الطبيب الاول : الى أينما هرب،، سأطلب توقيفه وأُصدر حُكْماً عليه بان يتبع معالجتي حتماً.

اوروزنت : انا موافق.

الطبيب الاول : نعم يتحتّم عليه إمّا أن يموت أوْ أن أعالجه.

اوروزنت : انا لا مانع عندي في ذلك.

الطبيب الاول : وإذا لم أعثرْ عليه، أنتَ مسؤول عنه، وسأداويك بدلاً عنه.

اوروزنت : أنا صحّتي جيدة، ولا أحتاج الى معالجة.

الطبيب الاول : لا فرق عندي بينك وبينه. لا بدّ لي من مريض أداويه. وسأباشر بمعالجة من يقع تحت يدي.

اوروزنت : عالج مَن تشاء. لكني لن أكون مريضك. هيّا حكِّمْ عقلك، وعُدْ إلى المنطق السليم.

المشهد الثالث

اسبريكاني (متنكّراً بلباس بائع فلمنكي) وأُورونْت

إسبريكاني : يا سيدي، عن إذنك، أنا بائع فلمنكي، وأريد أن استعلم منك عن أمر بسيط.

اورونت : ماذا تريد، يا سيدي ؟

إسبريكاني : أَعِدْ قبعتك الى رأسك، يا سيدي، من فضلك.

اورونت : قُلْ لي، يا سيدي، ماذا تريد ؟.

إسبريكاني : لن أقول كلمة إذا لم تَضَعْ قبعتك على رأسك.

اورونت : ها قد أعدتها. ماذا تريد، يا سيدي ؟

إسبريكاني : ألّا تعرف شخصاً إسمه السيد أُورونْت ؟

إسبريكاني : ومن هو هذا الرجل، من فضلك ؟

اورونت : هو رجل كسائر الرجال.

إسبريكاني : أسألك، يا سيدي، إن كان رجلاً غنيّاً، لديه أملاك وافرة ؟.

اورونت : نعم.

إسبريكاني : هل حقّاً هو رجل غني جداً، يا سيدي ؟

اورونت : ولماذا هذا السؤال ؟

إسبريكاني : الأمر يتعلّق بمسألة تهمّني، يا سيدي.

اورونت : مرة ثانية أسألك لماذا هذا الإلحاح ؟.

إسبريكاني : لأن السيد اورونت سيزوّج ابنته شخصاً يُدعى السيد دي بورسيّاك.

اورونت : وما همّك انت ؟

إسبريكاني : السيد دي بورسيّاك رجل مفلس ومدين بأموال كثيرة لعشرة أو أثني عشر تاجراً فلمنْكيّاً، وقد أتى الى هنا.

اورونت : السيد دي بورسيّاك مفلس ومدين بأموال كثيرة لعشرة أو إثني عشر تاجراً ؟

إسبريكاني : نعم، يا سيدي. ومنذ ثمانية أشهر ربحنا دعوة واستصدرنا

حكما عليه وهو ينوي أن يعقد هذا الزواج لكي يفي ديونه التي لا تُحصى، بالمال الكثير الذي سيدرّه عليه اقترانه بابنة السيد أُورونْت.

اورونت : اذاً هو يقصد الزواج لكي يفي ديونه الكثيرة ؟.

إسبريكاني : نعم، نعم، يا سيدي. وترانا ننتظر عقد زفافه بفارغ الصبر لنستردّ أموالنا .

اورونت : رأيك في محله. نهارك سعيد.

إسبريكاني : أشكرك، يا سيدي، على معروفك.

اورونت : أنا في خدمتك على الدوام.

إسبريكاني : بل أنا في خدمتك، وقد اسديتَ إليّ جميلا لن أنساه، بما أبلغتني إياه من أخبار السيد دي بورسياك. (على حدة) والآن عليّ ان اتخلّص من تنكُّري بالزيّ الفلمنْكي. وعليّ أيضاً ان أزرع الشك والفرقة على قدر المستطاع بين الصهر وحميه، لإبطال هذا الزواج البغيض. وكلاهما على أتمّ الاستعداد للعضّ على السنّارة التي أُلقي طعمها الى كل منهما. وبما أن اللعبة خبيثة من الدرجة الاولى، عليّ أن أقوم بها بمهارة لأني لن أُلاقي فرصةً لصيدٍ أفضل من هذا في المستقبل.

المشهد الرابع

دي بورسياك، واسبريكاني

دي بورسياك : ما هذا اللَغَط ؟.

إسبريكاني : ما الخبر ؟ ماذا تريد، يا سيدي.

دي بورسياك : كل ما أراه أمامي يخيَّل الي انه مسهِّل ومطهِّر.

إسبريكاني : ماذا تعني ؟

دي بورسياك : ألّا تدري بما حلّ بي في المنزل الذي أوصلتني الى بابه ؟

إسبريكاني : لا، حقّاً. ماذا جرى ؟

دي بورسياك : كنت أظن أني سأكون مرتاحاً ومسروراً فعلاً هناك.

إسبريكاني : وماذا جرى ؟

دي بورسياك : سأخبرك بالتفصيل، يا سيدي. هناك أطباء مرتدين ثياباً سوداء، فأجلسوني على مقعد، وأحدهم جسّ نبضي، واعتبروني مجنوناً. كانت خدودهم بارزة، وقبعاتهم واسعة. كانوا ثلاثة، تاراتاتا، تاراتاتا. وقد قالوا لي : أسترخ، يا سي ديّد دو بورسيّاك. وكان هناك أيضاً صيدلي يُعِدّ مسهِّلاً ومطهِّراً، فقال لي : تناولْه، يا سيدي، لأنه لا يضرّ. هذا مسهِّل ومطهِّر، تناولْه، هيّا تناوله. آه، لم أشاهد في حياتي نظير هذه الحماقات والسخافات.

إسبريكاني :وماذا يعني كل ما تسرده لي ؟

دي بورسياك : هذا يعني أن ذاك الرجل وجماعته كلّهم خبثاء أغبياء حمْقى. وأنّ من قادني اليهم سيّئ النيّة لئيم، أراد أن يسخر منّي ويجعلني ضحيّة ألاعيبه القذرة.

إسبريكاني : هل هذا ممكن ؟

دي بورسياك : بدون شك. كانوا حوالي إثني عشر.دجّالاً تسكنهم الأبالسة، يريدون أذاي. وقد علمتُ المستحيل للهرب والنجاة من شرّهم.

إسبريكاني : هدّئ روعك. فالمظاهر غالباً ما تكون خدّاعة. لقد ظننت الطبيب من أخلص الأصدقاء واكثرهم وداعةً وإنسانية. حقاً، كلامك هذا يُدهشني ويجعلني أتساءل هل يوجد على وجه الأرض أمثال هؤلاء الخبثاء الذين تحّدثت عنهم.

دي بورسياك : إني حتى الآن أتوهّم مفعول المسهِّل والمطهِّر. أرجوك أن تصدّقني.

إسبريكاني : لا بد من أن تكون صادفت ما يشبه الامور التي تخبرني عنها.

دي بورسياك : لقد سكنت الرائحة في أنفي، وملأت تحركاتهم مخيّلتي. ولا أزال حتى هذه الساعة أبصر أشباحهم الرهيبة، وأرى المسهّل والمطهّر الكريهين أمام نظري.

إسبريكاني : هذا لؤم لا حدّ له. والرجال الذين تكلّمني عنهم قتلة مجرمون.

دي بورسياك : دُلّني من فضلك، على منزل السيد اورونْت. لأني أنوي الذهاب لمقابلته بدون تأخير.

إسبريكاني : آه. هل أنت واقع في شرك الغرام، وسمعتَ أنّ لهذا السيد الغني المدعو أورونت إبنة جميلة برسم الزواج ؟

دي بورسياك : أجل. انا قادم لعقد زفافي إليها بموافقته ومباركته.

إسبريكاني : هل تريد حقّاً أن تقترن بها ؟

دي بورسياك : نعم، نعم.

إسبريكاني : أن تقترن بها هي ابنة السيد اورونت ؟

دي بورسياك : وما المانع ؟

إسبريكاني : هذا أمر لا يعنيني. وأرجوك أن تعذرني على تطفّلي.

دي بورسياك : ماذا تقصد بكلامك إذاً ؟

إسبريكاني : انا لا أشير الى أي تلميح.

دي بورسياك : بربّك، قل لي ....

إسبريكاني : لا، ر قصْد لي. ربما تكلّمتُ أنا أكثر مما يلزم.

دي بورسياك : أرجوك ..... من فضلك .....

إسبريكاني : لا، أبداً. أرجوك أن تعفيني من هذا الحديث.

دي بورسياك : لماذا تتمنّع ؟ أَوَلَسْتَ من أصدقائي ؟

إسبريكاني : أجل، لا أحد يكنّ لك صداقة أوْفى منّي.

دي بورسياك : إذاً يجب عليك أن لا تخفي عني أيّ خبر، لا سيما إذا كان سيّئاً.

إسبريكاني : هذه مسألة تتعلّق بمصلحة القريب.

دي بورسياك : لكي أشجّعك على الكلام، إليك بهذا الخاتم الصغير الذي أرجوك ان تقبله مني كعربون الصداقة التي نتبادلها بإخلاص.

إسبريكاني : دعني أفكّر قليلاً، واتأمل فيما إذا كنت أرضي ضميري إذا تكلّمتُ. هو رجل يبحث عن صالحه ويريد أن يؤمّن مستقبله المهزوز ويسعى للإقتران بالفتاة الغنيّة التي تناسبه اكثر من سواها. وأنا لا أودّ أن أسبب الضرر لأيّ كان. وما أعرفه هو في الحقيقة أمر لا يجهله أحد.

ولكني لا أريد أن اكشف سرّه لمن لا علم له به. لأن النميمة بحق الغير محرّمة. هذا محتّم. لكن من جهة ثانية لا أحبّ أن أقع على أيّة مفاجأة مزعجة. فأنت صديقي، سليم النيّة، طيب القلب، وتريد أن تقترن بفتاة لا تعرفها بعد، ولم تشاهدها قط. ثم أنت رجل صادق صريح للغاية، وانا أحفظ لك مودة نزيهة الى حد أني أعتبرك أفضل أصحابي، ونتبادل ثقةً عمياء. وقد أهديتني خاتماً منذ لحظة كعربون المحبة السائدة بيننا. نعم لذلك أجد نفسي مسؤولاً ومضطراً لأن أبوح لك بأمور طبعاً بدون أن أُسيء الى ضميري. وعليّ أن أُبلغك إياها بألطف طريقة ممكنة، وأن أُداري شعور الناس على قدر المستطاع. فإنْ أخبرتك بأن سلوك هذه الفتاة ليس على ما يُرام من العفّة والبراءة يكون كلامي ثقيلاً جداً وجارحاً. عليّ أن اشرح لك الوضع بأرقّ تعبير ممكن. فإنّ وَصْفها بالغانية المستهترة ليس كافياً، وكلمة مغناجة متدلّعة قد تكون أكثر براءة مما يجب أن تعلم عنها، ولا تكون أوفى ممّا أودّ أن تدري به عن تهتّكها.

دي بورسياك : أهذه هي الحقيقة، وأبوها يعتبرني مغفّلاً الى هذا الحدّ ؟

إسبريكاني : ربما في أعماقه لا يضمر لك شرّاً، كما يعتقد معظم عارفيه. ثم هناك أشخاص يترفّعون عن هذه الدنايا، ولا يعتبرون بعض التساهلات مضرّة بشرفهم وسمعتهم.

دي بورسياك : أنا مدين لك طوال عمري بهذا الجميل الذي قبلت أن تسديه اليّ، كي لا أتورّط في مثل هذه الفضائح القذرة. وها قد أدركت لماذا يريد التقرّب إليّ، انا المرفوع الرأس بانتسابي الى أسرة دي بورسيّاك الأبيّة.

إسبريكاني : ها هوذا والده قد أقبل.

دي بورسياك : هذا الشيخ المنجوس الخدّاع.

إسبريكاني : نعم، وأنا أنسحب.

المشهد الخامس

أوروْنت، ودي بورسياك.

دي بورسياك : نهارك سعيد، يا سيدي.
اورونت : نهارك أسعد، يا سيدي.
دي بورسياك : أنت السيد أورونت، أليس كذلك ؟
اورونت : نعم.
دي بورسياك : وأنا دي بورسياك.
اورونت : أهلاً وسهلاً.
دي بورسياك : أتعتقد، يا سيدي أورونت، أن أفراد أسرة دي بورسيّاك مغفّلون أغبياء ؟
اورونت : وهل تظن، يا سيدي دي بورسيّاك أن البارسيّين سذّج حمْقى.
دي بورسياك : هل تتصوّر يا سيدي أُورونت، إنّ رجلاً شهماً مثلي، يقتله الشوق الى النساء ؟
اورونت : وهل تتخيّل، يا سيدي دي بورسياك، أن أبنتي تتهافت بهذا المقدار للحصول على زوج من أمثالك ؟

المشهد السادس

جولي، واورونت ودي بورسياك

جولي : لقد قيل لي، يا أبي، إن السيد دي بورسياك قد وصل الى هنا. ها هوذا، بدون شكّ، وقد أنبأني قلبي بقدومه الميمون، وبأنه رجل ممتاز، أنيق المظهر، وأنا مسرورة بالحصول عليه كزوج. فأرجوك أن تسمح لي بمعانقته إكراماً لقدومه، ولإبلاغه ما أشعر به نحو من ....
اورونت : مهلاً، يا ابنتي الحبيبة، مهلاً.

دي بورسياك : ما أوقح جسارتها. تبّاً لها من متحزلقة. وما أشدّ ميلها الى الرجال.

اورونت : أريد أن أعرف، يا سيدي دي بورسياك، لماذا أنت قادم إلينا ؟

جولي : كم أنا مسرورة برؤياك. وكم أنتظر بفارغ الصبر أنْ ....

اورونت : قلت لك مهلاً، يا ابنتي. إنسحبي من هنا.

دي بورسياك : (تقترب منه جولي، وتنظر اليه بحنوّ وتودّ أن تُمسِك بيده) : ها، ها. ما هذه الجسارة غير المألوفة.

اورونت : أودّ أن أعرف، من فضلك، لماذا تتكلّم بهذه اللجهة المهينة ؟

دي بورسياك : انا لا أقصد أن أجرح إحساس أحد.

اورونت : ما هذا القول الذي لا ينطبق على ما تفضّلت وتلفظت به ؟

جولي : ألّا تريد ان ألاطف العريس الذي اخترته انت لي ؟

اورونت : كلاّ. أدخلي الى هذه الحجرة.

جولي : دَعْني أنظرْ إليه.

اورونت : هيّا، قلت لك أنْ تنسحبي.

جولي : أودّ البقاء هنا، من فضلك.

اورونت : أنا لا أريد. وإذا لم تدخلي حالاً .....

جولي : ها أنا أنسحب.

اورونت : إبنتي غبيّة لا تعرف خيرها من شرها.

دي بورسياك : كم هي معجبة بي.

اورونت : ألَا تريدي أن تنسحبي، يا ؟ ...

جولي : متى تنوي ان يتمّ عقد زفافي الى هذا السيد ؟

اورونت : لن يتمّ ابداً. لأنك لن تكوني له بأي شكل من الاشكال.

جولي : انا أريد أن أصبح زوجته كما وعدتني بذلك مؤخّراً.

اورونت : حتى إن كنت وعدتك بذلك في الماضي، فالآن أنا امنعك من الاقتران به.

دي بورسياك : هي تتمسّك بي.

جولي : مهما فعلت، يا والدي، لن أُزفّ إلّا الى هذا الرجل، رغماً عن أنف الجميع.

اورونت : سأمنعكما من تحقيق هذا الزواج. ما هذه الوقاحة التي تظهرينها بحقّي ؟

دي بورسياك : يا إلهي. أرجوك أن لا تتعب نفسك هكذا، يا حميّ. فأنا لا أنوي أن اختطف منك ابنتك. وحركاتك لن تؤدّي الى أية نتيجة إيجابية.

اورونت : وأنت، لن يكون لكلامك عندي أية قيمة.

دي بورسياك : هل تعتقد أن ليونار دي بورسيّاك رجل ساذج، يَسَعُك أن تشتريه بأموالك ؟ وأنه لا يستطيع الإستعلام عن أحوالك وعن سلوك ابنتك. وأن يعرف سلفاً أنّ اقترانه بابنتك سيكون لسعادته أو لشقائه. وأن هذا الزواج سيصون شرفه وسمعته أو يمرّغ إسمه في أقذر الأوحال.

اورونت : لا أفهم ما تريد أن تقول. ولكن، هل فكّرت كيف أن رجلاً في الثالثة والستين من العمر قد فقد عقله ومنطقه السليم ليزفّ ابنته الى رجل صحّته هزيلة، كما تعلم، أُودِعَ لدى الطبيب قيد معالجته وانقاذ حياته من الامراض الوبيلة.

دي بورسياك : هذه مهزلة غير صحيحة، لأني لست مريضاً.

اورونت : الطبيب المعالج بعينه أفادني عن حالتك الصحيّة التعيسة.

دي بورسياك : الطبيب كذب عليك. فأنا رجل محترم سليم الصحة. وكم أودّ أن أقابل هذا الدجّال والسيف في يدي لأعرّفه قيمة نفسه.

اورونت : انا أعلم علم اليقين ما يجب أن أصدّقه. فلا تُراوِغ أمامي في هذا الموضوع الأساسي، ولا في موضوع ديونك التي لا تُحصى، والتي تتمنّى أن تسدّدها بعد اقترانك بابنتي.

دي بورسياك : أيّة ديون تعني ؟

اورونت : لن ينفعك النكران. لأن البائع الفلمنْكي أخبرني عن الدائنين الذين يلاحقونك لتحصيل أموالهم، وأنه أخذ حكماً عليك منذ ثمانية أشهر.

دي بورسياك : أي بائع فلمنْكي ؟ وأيّ دائنين ؟ وأي حكم عليّ تقصد ؟

اورونت : أنت أدرى بما أشير اليه.

المشهد السابع

لوسيت، واورونت، ودي بورسياك

لوسيت : انت جالس هنا تتظاهر بأنك لا تعرفني، ولا تخجل من كذبك، ايها المنافق ؟ ألّا تدري، يا سيدي، بأنه قال لي لماذا يريد أن يقترن بابنتك ؟ لقد صرّح لي حين مرّ في مدينة بيزيناس بأنه ينوي أن يتزوج ابنتك لكي يحصل على أموال أبيها.

اورونت : ها، ها.

دي بورسياك : ما هذا الكلام الملفّق ؟

لوسيت : انه يريد أن يهجرني بعد ثلاثة عشر عاماً ويغادر منطقته ويأتي ليقترن هنا بفتاة أخرى، أبوها غني جداً، وبعد الحصول على أموال أبيها التي يطمع بها من خلال هذا الزواج الإجرامي، يهرب كرجل وَغْد عديم المروءة.

دي بورسياك : هذه امرأة وقحة وكاذبة لا تستحي.

لوسيت : أنت الوقح، لأنك تهين امرأة مسكينة مثلي بدون أن يوبّخك ضميرك علي فعلتك السافلة الشنيعة.

دي بورسياك : هل أنا زوجكِ، كما تدّعين زوراً وبهتاناً ؟

لوسيت : يا خسيس، هل تجرؤ على تكذيبي ؟ أنت تتظاهر بالبراءة والمسكنة رغم كل قبائحك التي تدلّ على أنك ثعبان لاذع وثعلب محتال. تريد أن تهجرني الى امرأة أخرى وترميني في الشارعِ لتنعم بزواجك من امرأة غيري وتختلس أموال والدها. حقاً إنك شرّير سبقتَ ابليس في النفاق والأذى.

اورونت : أكاد أتمالك نفسي عن البكاء. الآن أيقنت أنك رجل غادر فاسق.

دي بورسياك : صدّقني، أنا غريب عن كل ما يُنْسَب اليّ من التهم الباطلة.

المشهد الثامن

نارين (متنكرّة بزيّ أهل بيكاردي) ولوسيت، ودي بورسيّاك

نارين : لم أعُد أتحمّل هذه المشاكل التي أرهقتني. أيها الجبان الدنيء، لقد تركْتَني أُسرع الخطى وراءك وأنت تهرب مني. ألا عاقبتْكَ السماء على اعمالك القبيحة وانتقَمتْ لي من ظلمكَ وخداعكَ. وها قد أتيتُ لأمنع زواجك الآثم. هذا زوجي، يا سيدي، وأريد أن أحتفظ به.

دي بورسياك : أنتِ أيضاً ؟

اورونت : أيّ شرّير أنتَ ؟

لوسيت : ماذا تقول ؟ كفاكَ ما سمعته عنه. فهل من مجال لتزفّ اليه ابنتك ؟

نارين : نعم، أنا زوجته، يا سيدتي.

لوسيت : إن كنتِ أنتِ أيضاً تدّعين أنكِ زوجة هذا الرجل المحتال، فأنه حقاً يستحق أن يُشنَق فوراً.

نارين : ماذا تقولين عنه ايضاً ؟

لوسيت : أنا أُؤكد لك أني أنا زوجته.

نارين : أنتِ زوجته ؟

لوسيت : نعم، نعم.

نارين : أؤكد لك ما اعلنتُّه الآن، وهذا ضرب من ضروب احتياله وغشّه.

لوسيت : أراكِ تصرّين على ما صرحتِ به.

نارين : لقد اقترن بي منذ أربع سنوات.

لوسيت : وانا قد عقد زواجه عليّ منذ سبعة أعوام.

نارين : لديّ أثباتات على صحّة ما صرّحت به أمامكم.

لوسيت : وأنا كل أهالي بلدي يشهدون بأني زوجته الشرعية.

نارين : انا ايضاً، سكّان جيرتي يؤكّدون أني أنا قرينته.

لوسيت : جميع القاطنين مدينة بيزيناس قد حضروا حفلة زفافنا.

نارين : وأنا كلّ مدينة سان كانْتان قد احتلفتْ بعرسنا.

لوسيت : إن كنّا كلانا صادقتَيْن، فأي زير نساء تزوجنا ؟

نارين : ليس من كلام أصدق من الذي صرّحتُ به لنا.
لوسيت : وهل باستطاعتك أنتَ أن تُنكر أقوالي ؟
نارين : وانت، ايها الرجل الخبيث المحتال، هل يسعك أن تكذّبنا نحن الاثنَتَيْن ؟
دي بورسياك : كل منكما أكذب من رفيقتها .
لوسيت : ايها الجبان الوقح، أيها الشقي الخسيس، هل تقدر أن تُنكر أولادك. وأولادي طبعاً فانْشون وجانيت، ثمرتَيْ زواجنا نحن الاثنَيْن ؟
نارين : هل بلغتْ بك الجسارة وقلّة الحياء هذا المبلغ الدنيء ؟ أَوَ لَم تعد تذكر الآن ابنتك وابنتي مادلين، وهي خير شاهدة على ارتباطك بي بوثاق الزواج ؟
دي بورسياك : أراني أمام فاجرتَيْن محتالتَيْن لا تخجلان مما تدّعيان باطلاً.
لوسيت : تعالي يا فانْشون، تعالي يا جانيت، تعالوا جميعاً إشهدوا، وأفهِموا هذا الجبان من يكون، لأنه يُنكر حتى أولاده.
نارين : تعالي، يا ابنتي مادلين، تعالي الى هنا واثبتي لأبيك أنه أكبر كذّاب في الكون علّه يستحي ويعترف بواقع حاله.
جانيت وفانْشون ومادلين : يا بابا، يا بابا، يا بابا، يا بابا.
دي بورسياك : تبّاً لكنَّ يا بنات العهر والبغاء.
لوسيت : مالك تسيء معاملة بناتك ايضاً ؟ بعد نكران زوجاتك، يا سافل، يا خسيس ؟ أنت تتهمنا زوراً بالعهر والبغاء، يا عديم المروءة، يا من لا أصل له.
نارين : ألّا تستحي مما تقوله، يا دجّال، لا سيما أمام بناتك، وهنّ من لحمك ودمك، يا عديم الانسانية، يا سافل الأخلاق. لن تنجو من أيدينا، فرغم نكرانك، ورغم تنصّلك منا ومن أولادك سأظل أنا زوجتك غصباً عنك وسأدعك تدفع ثمن موقفك المخجل باهظاً جداً، يا نَذْل.
الاولاد (**معاً**) : يا بابا، يا بابا باب، يا بابا.
دي بورسياك : النجدة، النجدة. الى أين أهرب من أولاد الحرام هؤلاء ؟
اوروَنت : حسناً تفعلْنَ. عاقبنه على ما جنت يداه من فسق وتهتّك. حقّاً إنه يستحقّ الشنق حالاً.

المشهد التاسع

اسبريكاني

اسبريكاتي : ها أنا أراقب كل ما يجري، بعين ساهرة شامتة، وكل ما دبرته له من دسائس قد نجح على ما يُرام. لقد تعبتْ أعصابه من هذه المضايقات الى حدّ أنه لم يبق أمامه سوى الفرار ليغنم نفسه.

المشهد التاسع

دي بورسيّاك، واسبريكاني

دي بورسياك : لقد هلكت. ما هذه القصص الغريبة العجيبة. اللعنة تنزل على هذه المدينة الجهنّميّة؛ الجميع يحاولون اذلالي بكل الوسائل.

إسبريكاني : ماذا تقول، يا سيدي ؟ هل جرى لك حادث جديد ؟

دي بورسياك : نعم، نعم. السماء تمطر في هذه المدينة الملعونة نساءً وبناتٍ، وكذلك مسهّلات ومطهّرات.

إسبريكاني : كيف جرى ذلك ؟

دي بورسياك : هناك عاهرتان تدّعي كل منهما أنها زوجتي، وتهدّداني كلتاهما برفع دعوى عليّ أمام المحكمة.

إسبريكاني : هذه قضية خبيثة، مع العلم أنّ القضاء في هذه المدينة صارم جداً بحقّ مثل هذه الجرائم.

دي بورسياك : نعم، لكن عند إجراء التحقيق ستتبيّن الحقيقة الناصعة، وسيلفظ القضاء كلمته العادلة بتكذيب كل هذه الإدّعاءات الباطلة. ولا بدّ من بذل أقصى جهودي لإظهار الحقيقة الناصعة الأكيدة مدعومة بالأدلّة الثبوتيّة.

إسبريكاني : هذا حديث من له اطلاع واسع على القوانين، ومتضلّع من نصوص الشرع كأن المحاماة مهنتك الأصيلة.

دي بورسياك : أنا لست سوى مواطن صادق.

إسبريكاني : لكي تتكلم بمعرفة وثقة كما تفعل، لا بدّ لك من أن تكون رجل قانون درستَ الحقوق حتماً.

دي بورسياك : لا، لا، أبداً. أنا أتكلّم بما يوحي به اليّ المنطق السليم الذي يرتكز عليه القضاء والعدل. ولا سبيل الى الحكم عليّ استناداً الى مجرّد ادعاءات لا أساس لها من الصحة. فالمجابهة أمام الواقع، لا بدّ من ان تُظهِر الحقائق بجلاء.

إسبريكاني : هذه أيضاً مهارة بارزة مكتسبة بالدرس والاختبار.

دي بورسياك : لقد نطقت بهذه الكلمات عفويّاً بدون أن أبحث عنها.

إسبريكاني : يُخيَّل إليّ أن حديثك المدعوم بالشواهد، لا يمكن أن ينطق به إلّا مَن مارس الدفاع عن الحقوق بموجب القوانين العدلية. وهو يدري بتفاصيل المرافعة والنقاش.

دي بورسياك : هذه كلمات حفظتها، وانا أطالع بعض القصص من وقائع الحياة.

إسبريكاني : حسناً قلت.

دي بورسياك : ولكي أبرهن لك أني بعيد عن جوّ المحاكم، ارجوك ان تدلّني على احد المحامين، لكي ارفع على يده شكواي الى القضاء فيخلّصني من هذه التهم الباطلة.

اسبريكاني : حبّاً وكرامةً. سآخذك الى رجلَيْن محنّكَيْن بارعَيْن. لكني انبّهك سلفاً كي لا تندهش من اسلوب حديثهما. لانهما تعلّما من المحاكم بعض عبارات تظهرهما كأنهما يُهيّئان السامع لما سيدليان له من اقوال محيِّرة.

دي بورسياك : لا تهمّني طريقة حديثهما. المهمّ أن يصرّحا لي بما أودّ أن اقف عليه من الحقائق.

المشهد الحادي عشر

اسبريكاني، ودي بورسياك

(المحاميان هما موسيقيان، احدهما يتكلّم ببطء زائد، والآخر بسرعة مبالغة، يرافقهما مدّعيان عامّان ورقيبان في الشرطة القضائية).

المحامي الاول (بلهجة بطيئة) : **تعدّد الزوجات جريمة تستحق الشنق حالاً.**

المحامي الثاني (بلهجة سريعة) : **قضيتك واضحة وصريحة والعدالة. في هذا المكان تعيد الحق الى صاحبه بأمان اذا راجعت المشرّعين من يوستينيانوس الى بابيبنْيانوس وألْبيانوس وتريبونيانوس وفيرنان وريبوفيل وجان وإيمول وبولس وكاستروك وكوجاس، هذا الرجل العظيم والمشرّع القدير توقن بأن تعدّد الزوجات جريمة تستحقّ الشنق حالاً. فكل الشعوب الخاضعة للقوانين وتحتكم الى المنطق السليم من فرنسيّين وإسبان وفلمنْكيّين وإيطاليّين وألْمان وشرقيّين، كلهم أجمعوا على شريعة واحدة والقضية هنا أضحت واضحة تُؤكّد أنّ تعدّد الزوجات جريمة تستحقّ الشنق حالاً.**

(دي بورسياك يقاتلهم، بينما النائبان العامان والرقيبان في الشرطة القضائية يدخلان، وينتهي الفصل الثاني).

الفصل الثالث

المشهد الاول

اراسْت واسبريكاني

اسبريكاني : نعم، الأمور تتّجه الى حيث نشاء. ولمّا كانت الاضواء ضئيلة خافتة ومعنويّاته منهارة الى أقصى حدّ، حملته على الخوف من صرامة العدالة في هذه البلاد، ومن الاستعدادات القائمة على قدم وساق لإعدامه، وها هو ينوي الهرب لدى اول فرصة سانحة. ولكي يفرّ بسهولة قلت له إنّ المسؤولين وضعوا له عند أبواب المدينة لتوقيفه جواسيس تراقبه، فرضي أخيراً بأن يرتدي ثياباً تنكّرية بزيّ امرأة.

اراست : كم اودّ ان أبصره في هذا اللباس الذي سيجعل منه أُنثى.

اسبريكاني : فكّر أنت من جهتك كيف ستنتهي المهزلة. بينما انا اقوم بدوري حياله. هيّا انصرفْ. هل سمعت ما أوصيتك به ؟

اراست : نعم.

اسبريكاني : وحين أضعه حيث أريد ....

اراست : جيد جداً.

اسبريكاني : وحين أُلْفتُ أنا انتباه الوالد الى ....

اراست : ستكتمل القصة على أُحسن ما يُرام.

اسبريكاني : ها هي آنستنا آتية. هيا اذهبْ بسرعة لكي لا يرانا صاحبنا معاً.

المشهد الثاني

دي بورسياك (متنكّراً بثياب امرأة) واسبريكاني.

اسبريكاني : بالنسبة اليّ، انا لا أصدّق أننا في هذا الوضع يمكننا أن نرى، رغم مظهرك الناعم ومشيتك الرشيقة، انك لست امرأة.

دي بورسياك : هذا ما يذهلني في هذا البلد حيث جميع معالم العدالة لا تساعد على تطبيق قوانينها.

اسبريكاني : نعم، قلت لك ان جميع الاستعدادات هنا جارية لالقاء القبض على رجل مطارَد والمباشرة بمحاكمته.

دي بورسياك : هذه عدالة خرقاء ظالمة.

اسبريكاني : هي قاسية مثل كل الأبالسة، لا سيما حيال هذه الجرائم الاخلاقيّة.

دي بورسياك : لكن، عندما يكون الإنسان بريئاً.

اسبريكاني : هذا غير مهمّ، لأن المسؤولين هنا لا يبحثون عن إحقاق الحقّ. وفي هذه المدينة بنوع خاص يُعَشْعِش الحقد الأسود في قلوب الأهالي، لا سيما نحو القادمين من بلادكم، ولا يسرّهم اكثر من أن يروا أحداً منكم متدلياً من حبل المشنقة.

دي بورسياك : وماذا فعلنا نحن بحقّهم ؟

اسبريكاني : هُمْ قساة، وأعداء اللين والفضيلة السائدة في غير مدنهم. ولا يسعني إلّا أن أقرّ لك بأني خائف جداً على مصيرك، ولن أقبل أيّ عزاء في حال إعدامك لا سمح الله.

دي بورسياك : انا لست خائفاً من الموت بحدّ ذاته، لكني هربت مما يغيظ كل إنسان شهم يُحكَم عليه بالشنق زوراً وبهتاناً. لان هذه المعاملة الوحشية هي في الحقيقة إهانة لكل رجل نبيل نزيه.

اسبريكاني : الحق معك. وفي مثل هذا الحال سيضنّون عليك بما يحقّ لك، وينتزعون منك ايّ لقب حتى الفروسيّة. في الواقع يجب عليك أن

تتنبه عندما أشدّكَ من يدكَ، الى السير كالنساء برشاقة، والتكلّم بلهجة لا تفضح حقيقة أمرك .

دي بورسياك : دعني اتصرّف. فأنا أعرف جيداً كيف أماشي وضعيّتي الجديدة الموقّتة. لكن ما يشغل بالي هي لحيتي الطويلة قليلاً.

اسبريكاني : لحيتك غير هامّة، إذ إن لبعض النساء لِحىً كما هو حالك الآن. هيّا أرني كيف تمشي. حَسَن.

دي بورسياك : هيّا بنا إلى عَرَبَتي. أي هي ؟ ماذا حلّ بها ؟ يا إلهي. ما أشدّ تعاستي عندما اتعاطى مع أناس على هذا الشكل الذي نراه. هل سيَدَعُونني أنتظر طوال النهار على قارعة الطريق، ولا يأتيني أحد بعربتي ؟

اسبريكاني : مهلاً.

دي بورسياك : أيها السائق، يا خادمي الحقير، أيها الغبي الكبير. لماذا ضربت الخيل كل هذه السياط ؟ ستتلقّى منّي مثلها، أيها الخادم الحقير. أين هذا الخادم الصعلوك ؟ أو لم يبقَ لدي من يخدمني في هذه الدنيا ؟

اسبريكاني : هذا أمر عجيب. لكني ألاحظ ما هو أغرب، وأعني هذه القبعة الرخوة قليلاً، سأرسل في طلب غيرها أوسع منها، لكي تخفي وجهك بطريقة أفضل، فيما اذا صادفت احد المتطفّلين.

دي بورسياك : ماذا سيحل بي يا ترى ؟

اسبريكاني : انتظرني هنا. وسأكون في خدمتك بعد لحظة. يمكنك أن تتنزّه قليلاً.

المشهد الثالث

حاجبان، ودي بورسياك

الحاجب الاول : هيّا بنا نسرع، يا رفيقي. لا بدّ لنا من الذهاب معاً الى محلّة « كراف » لكي نرى ما إذا وصل السيد دي بورسيّاك الذي حُكِم عليه بالإعدام شنقاً وشدّ الحبل حول عنقه.

الحاجب الثاني : يجب علينا ان نستأجر نافذة لكي نشاهده ونرى كيف تأخذ العدالة مجراها.
الحاجب الاول : يُقال إن عود المشنقة قد نُصب حديثاً ليُعلَّق عليه دي بورسيّاك.
الحاجب الثاني : سنفرح كثيراً بشنق أحد أهالي ليموج.
الحاجب الاول : أجل وسأنظر اليه كيف يدلّي رجليه في الهواء امام كل المشاهدين.
الحاجب الثاني : سيكون منظره مدهشاً. أجل، لأنه اقترن بثلاث نساء دفعةً واحدة، ولم يكتفِ بواحدة كسائر الرجال حسب القانون.
الحاجب الثاني : نهارك سعيد، يا آنسة.
الحاجب الاول : ماذا تفعلين هنا وحدك ؟
دي بورسياك(بزيّ إمرأة) : أنا أنتظر جماعتي، يا سادة.
الحاجب الثاني : ما أجملها.
دي بورسياك : مهلاً، يا سيدي.
الحاجب الاول : انت، يا آنسة، جئت لتبتهجي بمشاهدة المجنون الذي سيشنق في محلّة « كريف ». حقاً ستبصرين بعد قليل مشهداً رائعاً.
دي بورسياك : ارجوكم ان تعفوني من رؤياه.
الحاجب الثاني : هناك رجل من النبلاء المزيفين من اهالي ليموج سيشنق عقاباً له على قبائحه وسيعلّق على عود ضخم حتى يزهق حبل المشنقة انفاسه.
دي بورسياك : انا لا احب هذه المشاهد العنيفة.
الحاجب الاول : ما هذا الصدر العامر.
دي بورسياك : إحتشم، يا هذا.
الحاجب الاول : كم يلذّ لي ان انام بجانبك.
دي بورسياك : هذا حقّاً يتعدّى حدود اللياقة. ومثل هذه الاقوال القذرة لا توجّه الى امرأة محترمة مثلي.
الحاجب الثاني : دعها، يا صاح، فانا اتدبّر امرها بصورة انسب منك.
الحاجب الاول : انا لا اريد التخلي عنها لأحد.

الحاجب الثاني : ولا انا ايضاً.
(يتجاذبان دي بورسياك المتنكّر بزي امرأة)
الحاجب الاول : لن أُقْدِم على اي عمل.
الحاجب الثاني : انت منافق محتال.
الحاجب الاول : بل انت الكذّاب الاكبر.
دي بورسياك : النجدة، النجدة.

المشهد الرابع

رجال الامن، ومسلّحان، والحاجب الاول والحاجب الثاني
ودي بورسياك (بزيّ امرأة)

رجال الامن : ما هذا ؟ ولماذا هذا النقاش الحادّ ؟ ماذا تريدان كلاكما من هذه السيدة ؟ هيّا أخرجا من هنا، اذا لم تريدا أن تُساقا الى السجن.
الحاجب الاول : أجل، سنذهب. ولن تكون لك أنت أبداً.
الحاجب الثاني : حسناً، سنمضي معاً، ولن تكون لك بتاتاً.
دي بورسياك : اشكرك، يا سيدي، لأنك أنقذتني من هذين المعتديَيْن الوقحَيْن.
رجال الامن : نعم، هذا الوجه يشبه الذي وُصِفَ لي تماماً.
دي بورسياك : أؤكّد لك أني لست من تتكلّم عنه.
رجال الامن : ها، ها. ماذا قلتُ لكَ ؟
دي بورسياك : لست أدري.
رجال الامن : لماذا إذاً نفيتَ ذلك ؟
دي بورسياك : انا لا أقصد امراً معيّناً.
رجال الامن : حديثك يدلّ على إخفاء أمر ما. لذلك أُلْقي القبض عليكَ.
دي بورسياك : أرجوكَ، يا سيدي أن ترأف بحالي.
رجال الامن : لا، لا. يبدو عليكَ انكَ بكل تأكيد السيد دي بورسياك

الذي نبحث عنه، وقد تنكّرت بثوب امرأة. فلا بدّ لك من أن ترافقني الى السجن حالاً.

دي بورسياك : يا للأسف.

المشهد الخامس

رجل الأمن، والمسلّحان، واسبريكاني

ودي بروسياك.

اسبريكاني : أيتها السماء، ماذا يعني هذا التصّرف ؟

دي بورسياك : لقد انكشف أمري.

رجال الامن : نعم، وأنا فخور ومسرور بذلك.

اسبريكاني : يا سيدي، إكراماً لي، وأنت تعرف مدى الصداقة التي تربطنا معاً منذ زمن بعيد، ألْتمس منك أن لا تقوده الى السجن.

رجال الامن : كلاّ. هذا مستحيل.

اسبريكاني : انت يا رجل التسويات، قُلْ لي أليس من وسيلة لقبض مبلغ من المال لقاء صرف النظر عن هذه القضية، وغضّ الطرف عنها نهائياً.

رجال الامن(يخاطب مسلّحَيْه) : إنسحبا من هنا.

اسبريكاني(يخاطب دي بورسياك) : لا بدّ لك من أن تدفع مبلغاً من المال لكي يخلي سبيلك. هيا ادفع له.

دي بورسياك : تبّا لأهالي هذه المدينة الملعونة.

اسبريكاني(يخاطب رجل الأمن) : تفضّل، يا سيدي.

رجال الامن : كم هو المبلغ ؟

اسبريكاني : واحد، إثنان، ثلاثة، اربعة، خمسة، ستة، سبعة، ثمانية، تسعة عشرة.

رجال الامن : لا، لا. الأوامر الصادرة بحقّه مشدّدة، ومسؤوليتي كبيرة.

اسبريكاني : يا الهي، ما هذا الطمع. انتظر لحظةً. هيا عجّل وادفع له ضعْف هذا المبلغ.

دي بورسياك : ولكن ....

اسبريكاني : أقول لك أسرع ولا تُضِع الوقت سدىً. هل يسرّك أن تُشْفَق إذاً ؟

دي بورسياك : آه.

اسبريكاني : خُذْ، يا سيدي.

رجال الامن : لا بدّ لي من الهرب معه الآن، إذْ إني لن أجد الأمان هنا. دعني أقوده الى مكان آمِن، وابْقَ أنت هنا.

اسبريكاني : أرجوك أن تهتمّ به كما يجب.

رجال الامن : أعِدُك بأن لا أتركه وحده لحظة واحدة قبل أن أُوصله الى مكان حريز أطمئنّ اليه.

دي بورسياك : الوداع. أنت الرجل الشهم الوحيد الذي وجدته في هذه المدينة.

اسبريكاني : لا تُضِعْ وقتك. أنا احبّك، وأوّد أن تبتعد عن هنا بقدر ما يمكنك. رافقتك السلامة. إنك حقّاً ساذج بسيط. ولكن ما هذا ؟

المشهد السادس

اورونت، واسبريكان.

اسبريكاني : ما هذه المغامرة الغريبة. وما أزعج هذا النبأ بالنسبة الى الأب المخدوع. مسكين أنت، يا أورونت. كم اشفق عليك. ماذا ستقول ؟ وكيف ستتحمّل ألَم هذه الضربة القاضية.

اورونت : ماذا تقول ؟ وبأي شرّ تتنبئني ؟

اسبريكاني : آه، يا سيدي. هذا الرجل من سكان ليموج وهو سافل حقير يُدعى دي بورسياك، لأنه خطف لك ابنتك.

اورونت : خطف لي ابنتي ؟

اسبريكاني : نعم. لقد هامت بحبّه حتى الجنون، فتخلّت عن كل ما في الدنيا وتبعته. ويُقال إنه داهية يحمل النساء جميعاً على تعشّقه والتضحية بجميع ما لديهن في سبيله.

اورونت : هيّا بنا نذب حالاً الى المحكمة، فنرسل المسلّحين لإلقاء القبض عليهما.

المشهد السابع

اراست، وجولي، واسبريكاني، وأورونت.

اراست : هيّا، ستأتين مرغمةً، وسأسلّمك لوالدك. ها هي ابنتك، يا سيدي، وقد سحبتها بالقوّة من بين يدي الرجل الذي فرّت معه. وقد فعلت أنا هذا لا إكراماً لحبها، بل لأجل ردّ اعتبارك فقط. بعد ان عاملتْك هذه المعاملة الجاحدة. وأنا ازدري بها الآن لأنها بفعلتها هذه اقتلعت هواها من أعماق قلبي.

اورونت : تبّا لك من خسيس،

اراست : ماذا تقول ؟ (يخاطب جولي) بعد أن أظهرت لكِ كل صداقتي. أنا لا ألومك على امتثالكِ لأوامر والدكِ. فهو عاقل ومنصف في ما فعله، بل ألوم نفسي فقد إزدرى بي كما فعل بغيري. فاذا كان قد نقض الوعد الذي قطعه لي، فلا بدّ من ان تكون هناك أسباب دفعته الى ذلك. إذ أوهمه المغرضون أن الشخص الآخر منافسي رجل غني يملك اربعة أو خمسة آلاف ليرة ذهبية اكثر منّي، وأن ذلك يستحقّ التراجع عن كلامه. لكنْ إنسَيْ برهةً كل الحبّ الذي بدر منّي نحوكِ، كي تتشوّقي ويلتهب قلبك هياماً نحو العريس الجديد وتتبعيه بقليل من الخجل، بدون أن تستشيري والدك، بعد الجرم الذي نُسب اليه، وهذا امر كل الناس تشجبه، وفؤادي أنا لا يسعه أن يلومك عليه، ولا أن يغفر لك سوء تصرّفك.

جولي : نعم، لقد وقع قلبي بهواه، وشئتُ أن أُلْحق به بما أن أبي اختاره لي كزوج. ومهما قلت لي، هو رجل شهم، وكل التهم التي توجَّه اليه باطلة لا أساس لها من الصحّة.

اورونت : أصمتي، أنتِ جاهلة جسورة، وأنا أكثر دراية منك بمصلحتك بصفتي والدك.

جولي : هذه كلها قصص واتهامات أُلْصقت به، وهذا هو الذي أوجد هذه الحجج لكي يكرّهك به وينفرّك منه كي ترفضيه.

اراست : انا كنت فعلت مثله.

جولي : أنتَ، نعم.

اورونت : قلت لك ان تسكتي. أنتِ فعلاً غبية حمقاء قليلة الخبرة.

اراست : لا، لا. لا تظنّي أني أنوي أن أُبطل هذا الزواج. وأنّ شوقي اليك حملني على الجرْي وراءك. لقد أفهمتك أنّ هذا ليس إلّا للاعتبار الوحيد الذي أكنّه لوالدك، ولم أنشأ أن يتعرّض رجل شهم مثله الى العار والمذلّة والأقاويل التي ستحوم حول العمل الجريء الذي بدر منك.

اورونت : انا ممنون جداً، يا سيدي أراست، على هذا التقدير والرأي السديد.

اراست : الوداع، يا سيدي. كنت أرغب من كل قلبي أن تقوم بيننا صلة القرابة بالزواج. وقد عملت كل ما بوسعي للحصول على هذه السعادة. لكني تعيس، إذْ لم تجدّ أنت فيّ الكفاءة والاستحقاق لمنحي هذه النعمة. وهذا لا يمنعني من أن احفظ بصدقٍ مع ذلك عواطف الود والاحترام لشخصك الكريم. لم يسعفني الحظ لأكون صهرك فعلى الاقل أرجوك أن تعتبرني من الآن وصاعداً صديقك وخادمك الامين.

اورونت : قفّ عند هذا الحدّ، يا سيدي أراست. فإن كلامك قد تغلغل الى أعماق فؤادي. ولذلك سأمنحك يد ابنتي فتصبح شريكة حياتك.

جولي : انا لا أريد زوجاً إلّا السيد دي بورسياك.

اورونت : وانا أصرّ في هذه اللحظة على أن ترضَيْ بالسيد أراست زوجاً لك. هيا هاتي يدك.

جولي : كلّا. انا لا أريده.

اوروت : انا أريده وستقترني به مرغمةً.
اراست : لا، لا، يا سيدي. لا تجبْرها على هذا الزواج بالإكراه. أرجوك.
اوروت : يتحتم عليها أن تطيعني أنا والدها. وسأعرف كيف أُرغمها على الخضوع لأوامري.
اراست : ألا ترى انها تحب ذلك الرجل ؟ وهل تريد ان أمتلك جسماً يسيطر على قلبه رجل آخر.
اوروت : هذا كفر لم يسبق له مثيل، نقله اليها ذاك الخبيث المحتال. وسترى كيف ستغيّر رأيها وتبدّل عواطفها عمّا قريب وتحوّلها اليك أنت. هيّا ناولْيني يدك، يا ابنتي، بربّكِ عجّلي.
جولي : انا، لا ....
اوروت : ما هذا التصرف الغريب. هيا، قلت لك أن تناوليني يدك بسرعة.
اراست : لا تظنّي أني حباً بكِ أناوله يدي. بل انا افعل ذلك اكراماً لوالدك الذي احترمه كثيراً، ويخيَّل اليّ إنه بمقام أبي.
اوروت : اشكرك على هذه العاطفة النبيلة. لذا أنا أزيد مبلغ عشرة آلاف ليرة ذهبية على بائنة ابنتي. هيا استدعي الكاتب العدل ليُجهّز عقد الزواج.
اراست : بانتظار وصوله، يمكننا أن نبتهج بأفراح هذه المناسبة، وأن نُدخِل الاقنعة التي كانت جاهزة لعرس السيد دي بورسياك، والتي استقدمها معه من شتى أنحاء المدينة.

المشهد الثامن والاخير

عدة مقنَّعين.

بجميع الوسائل، وحيث البعض يشغلون عدّة شرفات، والبعض الآخر في الساحة يشدو بالعديد من الاعنيات، وبمختلف الرقصات والألعاب والتسليات البريئة.

مصرية : اخرجوا، اخرجوا من هذه الأمكنة
واطرحوا الاحزان والهموم والأقنعة.
ثم تعالوا، تعالوا نضحك ونلعب
ونتسلّى وننعم بالعطف والحب

جوقة الموسيقيين : لا تفكّروا إلّا بالملاهي
واطردوا عنكم كل الدواهي.

المصرية : لن أُفوّت أوقات السرور
لأن عطفك يملأني بالحبور
وشذى حبك أحلى من العطور
اسلكوا طريق الهوى والهيام
لأنه السبيل الوحيد الى الوئام.

مصري : دعونا نحب حتى يدركنا الأجل
فالعقل يدعونا ويمهّد السبل
واذا لم نرغب في اطاييب الحياة
نقضي العمر في خيبة الآمال
هيّا منذ اليوم الى الهوى والجمال
ذلك أفضل لراحة كل الأجيال

(كلاهما يتخاطبان) :

المصري : الخيرات

المصرية : المجد

المصري : العظمة

المصرية : الأطياف التي نشتاق اليها

المصري : كل ذلك ليس له قيمة حقيقية
اذا لم يسكن الحب في قلوبنا.

المصرية : بدون المحبة لا معنى للحياة
ولا نكهة لشهامتنا وإن كنّا أُباة

كلاهما (معاً) : هيّا بنا الى الرقص والغناء
هذا أفضل طريق الى الهناء.

الجوقة الصغيرة : (تنشد بعد ذلك هذه الأبيات الأخيرة)
هيّا ننشد كلنا معاً
ونرقص ونغنّي الأربعا.

موسيقي
(منفرد) : عندما نجتمع لنضحكْ كلنا
عقلنا على ما أظنّ ينصحنا
بأن لا نرى في العشق جنونا.

الجميع (معاً) : لا نطلبّ إلا البهجة والمرح
فأهمّ ما في الوجود هو التمتّع بالفرح.

(تمت)